« يا عنب الخليل السمر لا تثمر (١٩) »

أو التركيز على مفاصل الممارسة النضالية . رموز المقاومة الفلسطينية . ففي قصيدة « عائد الى يافا » يستعير درويش شخصية المناضل الشهيد أبو علي اياد ، ليرسم من خلالها ، اطارات بالغة الشفافية للعملية النضالية وقد لبست رجلا — رمزا . هنا لا يعود الشهيد أسطوريا ، بل يصبح الفعل الثوري هو الاسطورة التي يتحلق حولها الشعر ويرسم لها . أو حين يستعير القاسم شخصية « ليلى العدنية » فيقوم باسقاط التاريخ العربي بأسره على شخصية مناضلة ، لتعود هذه الشخصية وقد لخصت تاريخ شعب بأكمله .

غير أن هذه الاشارة تأخذ في الشعر الفلسطيني في الخارج — دحبور والمناصرة — بعدا يمزج بين الاطار الرومانسي الواضح كما في قصيدة دحبور « صفحة من كتاب الاغوار » ، حيث تتحول الشهادة الى قصة رومانسية عادية جدا ، لكنها تستطيع اثارة العواطف والحماس ، أو في بعض قصائد المناصرة التي يشير بها الى الوطن من الخارج — يا عنب الخليل — أو قد تأخذ شكلا بالغ الانفعال الاحتجاجي . فيمتزج الاحتجاج بمرارة واقعية ، يحدها اليأس الكامل والأمل الثوري في طرفين متزاوجين .

ان الطموح الاساسي للشعر الفلسطيني المعاصر ، هو طموح التعبير عن تجربة كلية ، هي تجربة الانغراس الثوري الكامل . لكن هذه التجربة لم تجد بعد اطاراتها الفنية التي تستطيع الانطلاق منها في سبيل الوصول الى طرح مشكلة الانسان المضطهد في علاقاته المعقدة . قد يرتفع صوت وليد سيف ليمتد صوب خضرة ، أو يبدأ سرحان درويش رحلة الخروج . لكن هذا الخروج يحمل في ذاته مؤشرات خاصة وجديدة ، لا بد قبل الوصول اليها من تلخيص مكثف ، لعنصر الدلالة في هذه المرحلة الشعرية .

لا تزال القصيدة تستعير نموذجها ، فهي محكومة بثنائية الشكل والمضمون بشكل لا خلاص منه . هنا يتقدم الشكل ونبقى في غالب الاحيان في نفس مضامين الاشكال الفنية للشعر الفلسطيني الاول . فعالية سياسية وضمور في البحث التشكيلي . تراجع أمام لحظة الانفعال الشاملة ، ومحاولة للدخول ، في عالم جديد ، لا تزال ملامحه غير واضحة . أي لا نزال أمام متطلبات بنية تتزامن فيها الاشكال والمضامين بشكل غير انقطاعي . وأذا حدث هذا الانقطاع فانه لا يحدث نتيجة تراكم ولا يتراكم .

ان محاولة حصر الدلالة ، في الاطار الذي وضعناه في مقدمة هذا البحث ، تشير الى واقع اساسي ، هو واقع دلالات الخروج من الاطارات السابقة التي يعلو فيها صوت الارجاع المباشر . فالقصيدة لا تزال في سمتها الغالبة قصيدة ارجاعية . قصيدة فارس القبيلة الذي يخاطبها ويتكيف معها من خلال هذه المخاطبة .

٤ —

قد نكون في بحثنا هذا ، لم نصل الى لوحة بيانية متكاملة لمعنى الدلالة في الشعر الفلسطيني الحديث . لكننا ، استطعنا على الاقل ، ان نتوقف عند محطات أساسية ، تسمح لنا بالوصول الى نوع من الفرضية التي تبقى بحاجة الى التعميم والتوقف عند بعض المظاهر التفصيلية الاخرى . لكن الاساسي في موضوعنا ، هو الوصول الى افتراض ثبات نسبي للدلالة في الشعر الفلسطيني . هذا الثبات ينشأ أساسا من واقع سياسي محدد ، ما كانت العناصر الجديدة فيه ، الا لتؤكد الطابع القمعي الشامل الذي يرزح فيه الشعب الفلسطيني . فبالاحتلال الاسرائيلي ، اتخذ هذا القمع طابعا جديدا وحفر ضرورات من طبيعة ثقافية — سياسية ، فرضت اصالة خاصة ، استطاعت